جماليات الموت المقدس في ديوان ثمانون طنا من الغياب للشاعر مرتضى التميمي

- دراسة تحليلية -

د. رسول بلاوي
أستاذ، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة شهيد چمران أهواز، أهواز، إيران
r.balavi@scu.ac.ir
علي عدنان عبد الحسين
طالب دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة شهيد چمران أهواز، أهواز، إيران
alialhajjaj1979@gmail.com

The Aesthetics of Sacred Death in the Poetry Collection Eighty Tons of Absence by the Poet Murtadha Al-Tamimi

- An Analytical Study -

Dr. Rasoul Balavi
Professor , Department of Arabic Language and Literature , shahid Chamran University of Ahvaz , Ahvaz , Iran
Ali Adnan Abdulhussein
PhD Student , Department of Arabic Language and Literature , shahid Chamran University of Ahvaz , Ahvaz , Iran

الملخص:-

كان الموت وما يزال واحداً من ابرز القضايا التي تشغل فضاءً واسعاً من تفكير الإنسان، كونه يمثّل خاتمة الحياة لكلّ مَن يعيش في الدنيا، ولاسّيما أنّه على تماس مباشر مع الأحياء، فالشاعر مرتضى التميمي: شاعر عراقي معاصر، وُلد في مدينة الديوانية بالعراق، وهو معروف بأشعاره الوطنية والعاطفية التي تعكس هموم المجتمع العراقي وتاريخه. فالتميمي في ديوانه "ثمانون طنًا من الغياب" يكتب بـ "مشرط جرّاح"، لا بريشة شاعر تقليدي. إذ يُعدّ الديوان صرخة ضد النسيان، بأسلوبٍ يرفض التجميل، معتمداً على تكثيف الألم والموت في صورٍ تظل عالقةً في الذهن، وهذا ما نجده عند التميمي في ديوانه " ثمانون طناً من الغياب"، فهو اتجاه موازٍ لصورة الحياة في كلّ الأشعار تقريبا. فحياة العاشق مرتهنة بنظرة من المعشوق ورهين الهجر والقطيعة، وحياة الزّاهد مقترنة بفكرة الموت عنده، فهو يرى أنّ الحياة الدنيويّة هي مطيّة لحياة أخرى أفضل وأبقى. وموت الفارس والمحارب والمجاهد هو تمجيد لبطولاته وفروسيته في الحياة، فلا حديث عن الموت إلاّ في علاقة مباشرة مع الحياة. فالموت موتان، موت بالحياة وموت بعد الحياة، وإذا كان العاشق يتحدّث عن موته هو، فإنّ الراثي يتحدّث عن موت أحد أحبابه والزّاهد يتحدّث عن موت الإنسان.

الكلمات المفتاحية: الشعر العراقي المعاصر، الموت، الحياة، مرتضى التميمي، ديوان "ثمانون طنا من الغياب".

Abstract:-

Death has always been one of the most prominent issues occupying a vast space in human thought, as it represents the end of life for everyone living in this world - especially since it is in direct contact with the living. The poet Murtadha Al-Tamimi is a contemporary Iraqi poet , born in the city of Diwaniyah, Iraq , and is known for his patriotic and emotional poetry that reflects the concerns of Iraqi society and its history. In his collection *Eighty Tons of Absence* , Al-Tamimi writes with "a surgeon's scalpel," not the pen of a traditional poet. The collection is a cry against oblivion, employing a style that rejects embellishment, relying instead on the intensification of pain and death in images that linger in the mind. This is what we find in Al-Tamimi's *Eighty Tons of Absence*—a parallel trajectory to the image of life in nearly all poetry. The lover's life is contingent upon the beloved's gaze, held captive by separation and abandonment , while the ascetic's life is tied to the concept of death , viewing worldly life as a vehicle to a better, everlasting existence. The death of a knight, warrior, or martyr glorifies their heroism and chivalry in life. Thus, death is only spoken of in direct relation to life. Death is twofold: death within life and death after life. If the lover speaks of their own death, the mourner speaks of the death of a loved one, and the ascetic speaks of the death of humanity.

Key words: Contemporary Iraqi poetry, death, life, Murtadha Al-Tamimi, Eighty Tons of Absence.

المقدمة:

إنّ صورة الموت في شعر التميمي مختلفة عن صورته العامة، فالحياة اليائسة من الحياة المسلمة بالقضاء والقدر المحتوم تارة، وتارة أخرى يصور حياة الزّاهد مقترنة بفكرة الموت عنده، فهو يرى أنّ الحياة الدنيويّة هي مطيّة لحياة أخرى أفضل وأبقى.. كما يُعدّ مرتضى التميمي من أبرز الشعراء العراقيين المحدثين الذين وظفوا موضوع الموت والحياة في أشعارهم توظيفاً ثورياً مقاوماً مشعاً بالأمل والشجاعة و كان للشاعر دوراً نشيطاً في توعية أبناء شعبه بما قدم من آثار تشير إلى أنّ الحياة إلى نهاية ولابد للإنسان أن يقاوم الاستعمار والظلمة ولا يرضى بالذل والهوان، فالموت يغتال النفوس كلّ يوم ولأسباب متنوعة، ولا سيما أنّه أمرٌ لا مفرّ منه، وقد ظهرت صورة الموت في شعر التميمي مختلفة عن صورتها العامة، اذ يصور الموت بصورة الحياة الفانية التي يتكالب عليها الناس وهم غافلون عن النهاية الحتميّة لكل كائن، وهذه الصورة الشعريّة عن الموت غالبا ما تراود الإنسان بعد طول شغف بالحياة، وأن بداية الحياة الثانية ستكون مع الموت بحسب ما كانت الحياة الأولى فيهرع للتوبة قبل أن يطاله الموت ويفوت الأوان. وقد أكد علي هذه المفاهيم بكلمات ومعانٍ جليلة أهاب فيها بأبناء شعبه أن يدافعوا عن قيم وطنهم وموروثاته،؛ لأنه يدرك أن الموت آتٍ لا محال، ومهما بلغ الأنسان من العمر عتيا فلا ضير أنّ الموت والشهادة في سبيل حفظ الوطن من أرقى درجات الموت، موضحاً ذلك بما وردت من أبيات في شكل فخر واعتزاز وتحسر لذاك الإنسان المجاهد وهذه الشهادة هي التي تصنع المستقبل وتضمن للأجيال القادمة حياة كريمة ملؤها العزة والكرامة.، حيث كشف صورة الموت هذه هي الصورة الغالبة عند أغلب شعراء السياسة. لاسيما شاعرنا بعد طول شغف بالحياة، فالموت هنا قد اتّخذ شكلا آخر تمثّل في كونه نهاية كلّ كائن، وقد نذر نفسه وأهله وكل ما يملك لمرضاة الله عز وجل. يهدف المقال إلى أن يسلط الضوء على أشعار الشاعر العراقي مرتضى التميمي ويبين آرائه عن الحياة والموت وفقاً للمنهج الوصفي التحليلي.

أسئلة البحث: إنّنا في هذا البحث سنسعى للجواب عن الأسئلة التالية:

- ما إشكالية جماليات الموت المقدس في شعر مرتضى التميمي وما علاقته برؤاه الفلسفية؟

- ماهي ابرز أشكال الموت والظواهر التي تناولها الشاعر مرتضى التميمي؟

أهمية البحث:

تسعى هذه الدراسة للكشف عن "صورة الشهيد" في شعر مرتضى التميمي باعتبارها صورة إنسانية عاينها الشاعر ورصد أبعادها وقد تناول البحث معنى الشهادة و قيمتاها في شعر التميمي، وكذلك صورة الشهيد في شعره أيضا. وتبين أن التميمي اهتم بصورة الشهيد اهتماما بالغاً، فأبرز من خلالها فضل الشهادة و قيمتها و دور الشهداء في دفع مسيرة النضال و تحريك الثورة من أجل الاستقلال و بناء الذات الإنسانية على الأرض. حيث وظف الشاعر أجزاء من تلك الصورة كصورة الجسد، والدم، والجرح لتكون رموزا خصبة للحياة و البعث و استمرار المقاومة.

أهم الدراسات التي تناولت الموت في الشعر العربي:

- الموت في الشعر الحديث، حسين احمد عبد الحميد، دار الكتب، (د.ت) ١٩٩٦م. بحث الكاتب الموت في الشعر الحديث ومقارنته بالقديم، إذ شمل البحث على ستة فصول، حمل الفصل الأول عنواناً "الموت بين العموم والخصوص"، تناول فيه الإحساس بموت الآمة عامّة وكذلك الإحساس الخاص بكل شاعر. في حين جاء الفصل الثاني بعنوان "الموت أمنية" وفيه بحث ظاهرة الحزن واليأس التي شاعت عند كثير من شعراء العصر الحديث.. أما الفصل الثالث فكان بعنوان "الموت قضية". إذ عرض فيه رأي بعض الشعراء في الموت وموقفهم منه. في حين ورد الفصل الرابع عنواناً "ما بعد الموت" تناول فيه دراسة بعض القصائد التي تحدثت عن العالَم الآخر بداية من النعش وانتهاءً بالبعث. وحمل الفصل الخامس "الموت تخيلاً ورثاء النفس " باحثا عن الشعراء الذين رثوا أنفسهم في العصر الحديث إذ بلغ عددهم عنده أربعة عشر شاعراً. واختتم الفصل السادس بعنوان "ذكر بعض الملاحظات والمناقشات" حيث ذكر فيه بعض الملاحظات والمناقشات ومنها دراسة أوجه الشبه والاختلاف بين شعر الموت القديم وشعر الموت الحديث.

- الموت في شعر السياب ونازك الملائكة، الباحث عيسى سلمان درويش، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠٠٣. بحث الكاتب صورة الموت في شعر كلاً

من السياب ونازك الملائكة، منطلقاً في رحاب الموت متأملاً نظرة كلٌ منهما. وقد اتضح للباحث رؤية شاعرينا للموت من خلال ذويهم، حيث اتضحت أبعاد تجاربهم، معبرة بدقة عن شعور غريزي بالخوف من الموت، فكأنهما يرثيان نفسيهما، وقد اتخذا الجانب الأسطوري والديني أساسا لصوغ التجربة الشعرية على وفق الرؤية القائلة أن الماضي يوجه الحاضر. فالسياب كانت مأساة المرض أساسا في بث صورة الموت في أشعاره، أما نازك فلم يكن المرض أساسا لبث شعور الموت وإنما الواقع المعيشي. وقد أتضح للباحث أن صورة الموت عند نازك هي نفسها عند السياب إذ تعبر عن رؤية خاصة وان كانت تجربة السياب اكثر حدة لأنه عاش الموت عن قرب.

- الموت في الشعر العربي من الأصول إلى نهاية القرن الإسلامي، محمد عبد السلام، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، لبنان، ط١، ٢٠١٧. استنتجت الدراسة أن الشعراء العرب، في الأغلب الأعم، قد اكتفوا بترجمة أمينة لشواغل عصورهم، كما ترجمت نبرات قصائدهم حساسية بيئاتهم. فقد وجد الباحث في أعمالهم الفنية إصداء أهم الحوادث التي هزت المجتمع الإسلامي طوال هذه القرون الثلاثة، كما كشفت الدراسة على ما أضافوه على أقوالهم في الموت أو على مراثيهم، نبرة جديدة في غياب المحتوى الطريف.

- الفرار إلى الموت - قراءة في الشعر الوسائطي(قصيدة كوشنير تو الحرب) أنموذجاً، د. وصفي ياسين عباس، بحث منشور، الممارسات اللغوية، مجلد١٢، العدد٠٤، ٢٠٢١، ص ٢٧٥-٣٠٥. هدف البحث إلى كشف الكيفية التي عبّرت بها الكلمة والموسيقى عن المأساة التي تعيشها الأوطان العربية في خطوط النار وتحت وطأة الحروب والكشف عن خيبات الأمل أمام دوامة العنف واستمرار الفساد بكل أشكاله. وتوصل البحث إلى كشف طبيعة المقاومة وعذابات الأطفال وحلم الأوطان، مصوراً حرب الشام عام ٢٠١١ والتي لم تتوقف حتى اللحظة فشملت بعض الدول العربية خاصة سوريا واليمن والعراق، وأجبرت الناجين من أهلها على الخروج والفرار.

حياة الشاعر:

- الميلاد والنشأة: وُلد الشاعر مرتضى التميمي في الديوانية، وهي مدينة معروفة بثرائها الثقافي والأدبي، وتأثر بالبيئة الشعرية العراقية منذ صغره. أما الشعر والكتابة فقد تميز شعره بالبساطة والقوة، حيث يلامس قضايا الوطن والحب والألم، ويعبر عن معاناة الشعب العراقي في فترات الأزمات. أما الموضوعات فقد كان غالبًا ما يتناول في قصائده الوطنية قضايا مثل الحرب والحرية، بينما في قصائده العاطفية يمتزج الحزن بالأمل. أما الشهرة فقد انتشرت بعض قصائده على منصات التواصل الاجتماعي، وحظيت بتفاعل كبير من العراقيين والعرب. في حين نجد التميز لديه واضحاً إذ يُعتبر من الشعراء الذين يجمعون بين الأصالة والمعاصرة، مستخدمًا اللغة البسيطة العميقة التي تصل إلى القلب مباشرةً. كما يُعد صوتًا شعري مؤثر في الساحة العراقية الحديثة. أما جانب أشعاره فله قصائد مثل: " مريض على سرير السياب" (عانى فيه معاناته مقارنها مع معاناة السياب) و "يا وطني" (وطنية تعبر عن الحنين للعراق)، و "قوافي من الفرات تحوم في مجالس الكلام الموزون"، و"كان يدري"، و " رحيل النور" التي كتبهما بعد استشهاد السيد حسن نصر الله وغيرها من القصائد الوطنية والعربية الكثيرة.

تناول البحث جماليات الموت المقدس في ديوان ثمانون طناً من الغياب وفق العنوانات الآتية:

أولاً: الموت والمكان: تظهر الغربة في أوقات الاضطراب والقلق وعدم الاستقرار بسبب الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية فشعور الغربة انمار هي تعبير يائس من الحياة فغربة العربي هي غربة مكان وغربة نفس عن وطن.

ثانياً: حتمية الموت: صورة الموت هذه تبعث الحياة في مواجهة مستمرة مع الموت فهذا التميمي يقول مذكّرا الإنسان بمصيره الحتميّ، موت مقترنة بصورة الحياة الفانية التي يتكالب عليها الناس وهم غافلون عن النهاية الحتميّة لكل كائن.

ثالثاً: صورة ما بعد الموت: ومن حتمية الموت إلى بشاعة الصورة ما بعد الموت، حيث أنّ شعر التميمي تطرق إلى استثمار ألفاظ الموت في غرض الرثاء، ولا شكّ في

أنّ ذكر الموت في غرض الرثاء يشكّل حيّزاً طبيعيًّا.

رابعاً: الموت وقصص الأنبياء: لم تكن قصص الأنبياء خافية عن كتابات الشاعر في ربط الصورة الشعرية بما يتلاءم مع سبب نزول الآية، فقد أشار إلى قصة نبي الله يوسف عليه السلام وكيف نبأ من كان معه السجن بما قد يحل بهم والتفريق بين من ينال القتل ومن ينجو منه، وهذا أسلوب قل نظيره في الكشف عن نتيجة الموت الحتمية شافعا ذلك بصورة ذهنية واضحة من تلك القصة.

خامساً: الموت واغتراب النفس: لم تكن صورة التشبه بالشهيد غائبة عن عين الشاعر فقد عبر عن إحساس عميق بالحزن واليأس العميقين معبراً عن حالته النفسية لما يمر به بعد فقد الصديق حتى اصبح قلبه كالبركان المدمر اليائس العاجز.

جماليات الموت المقدس:

حرص الإنسان على البقاء حيًّا جعله مهتماً بقضية الموت اهتماماً كبيراً، اذا نال ذلك الاهتمام جزءاً كبيراً من وقته وتفكيره فهو صنو الحياة، وقرينها الأزلي، وهو من المشكلات التي واجهت الأنسان منذ بدء حياته، وما تزال قائمة إلى الآن وكان لابد للإنسان من أن يواجه هذه المشكلة مادام حياً، فتنوعت استجاباته أزاءها بحسب مراحل تطوره الحضاري والفكري، فقد ارتبط الموت بالشعر حتى اصبح الشعر بديلاً له " وليس غريباً أن يهجس الموت بالشعر، فذلك مأثور وسيظل كذلك طالما ظل الإنسان"[١]، فكان استمرار حياة الموتى، وعلاقتهم بالناس أمراً مسلماً به لأن الموتى جزء من الحقيقة التي لاشك فيها، حقيقة الم الإنسان أو توقعه أو سخطه[٢] وبتطور الإنسان إلى اتجاهات فكرية جديدة تحول إلى الثورة على الموت، التي نلقاها في صورة سخط مكتوم وإحساس دفين بالظلم [٣]، حيث تتولد رؤية الموت عند الشاعر وفق منطلق الطاقة الانفعالية "ومن ثم يتكون في حياة الانفعالي مثلث من القيم زواياه الثلاث هي: الانفعال والشعر والموت، فالشاعر يحب الانفعال لأنه يؤدي إلى الشعر، على أنه يلاحظ أن الانفعال هو الموت، لأن الأول طريق محتم للثاني " [٤]، وهو ما دفعه - حين لم يجد ذلك - إلى البحث عن تعويض، فظهرت فكرة ((العالم الآخر)) حيث يحيا الأنسان حياته الأخرى، بعد الفناء في حياته الأولى، فأما الجحيم وأما النعيم الذي يبعث الأموات إلى حياة أخرى. وقد اهتم الفكر الإنساني بهذه المشكلة منذ

قصة قابيل وهابيل ابني ادم عليه السلام، فقد كان الموت دوماً وما يزال واحداً من ابرز القضايا التي تشغل فضاءً واسعاً من التفكير الإنساني، كونه يمثل خاتمة الحياة لكل من يعيش في الدنيا، ولاسيما أنه على تماس مباشر مع الأحياء، فالموت يغتال النفوس كلّ يوم ولأسباب متنوعة. فضلاً عن كونه امرأ محتوماً على العباد، وذلك ما أكده لنا القرآن الكريم بصور متعددة[١].

إنّ ظروف نشأة الشاعر عمقت إحساسه بالموت، ومكنته من تكوين رؤية خاصة به، ومن أهم تلك الظروف، إعدام والده من قبل أزلام صدام الملعون والمنطقة التي ترعرع فيها طفلاً، ثم فتى، وهي العراق الذي شهد حروب وتهجير وقتل من قبل النظام البائد، وهروبه طفلاً وعائلته إلى الجمهورية الإيرانية بعد أن أعياهم التنقل بين المحافظات العراقية خشية اعتقالهم من قبل أزلام النظام، إضافة إلى مصير الدول المجاورة وما فيها من قتل وتهجير هي الأخرى أيضا، وهذه الصور تعرض كل يوم لمشاهد مختلفة للموت فالحياة التي عاشها هذا الشاعر كانت اسبه بالموت نفسه، أو بأطلال دارسة مهجورة من السلام والطمأنينة، ولكنها بلا أساطير، كان يعاني الموت و يتنفسه، وكانت كل تلك الأحداث شاهدة في اغلب أشعاره، فلا يكاد يهدأ، وكان من تلك المنافذ الاقتراب من الموت عبر رؤية رومانسية واضحة اكتنفت مجمل نتاجه الشعري في ديوانه (ثمانون طنا من الغياب)، كما أن إظهار تلك المنافذ محاولة لإقصاء الشعور بالموت وتغليب التمسك بالحياة، حتى اصبح الموت نفسه لحظة ميلاد جديد، ليكون الموت منتج حياة جديدة، سواء تم ذلك بالبعث والنشور، ام بترك بذرة الحياة مغروسة في بقعة دم لتنمو من جديد. ذلك هو المظهر العام الذي تجلت به العلاقة الجدلية بين الموت والحياة في شعر التميمي في صورته العامة، حيث الدلالات مختلفة، وربما عبّر الرمز الواحد عن اكثر من دلالة. لكن هذا الأمر قد مر بمراحل اكتسبت صفاتها بحسب مفاصل التطور الشعري والفكري، ودرجة النضج الذي بلغها الشاعر في نموه ويمكن تلمس التباين في القراءة الأولى لديوانه، وهذا التباين يؤذن بأن مراحل مختلفة يمر بها شعر التميمي في هذا الشأن.

ويبدو أنّ الخوف من اللامعلوم وقرب الإنسان منه يؤدي به إلى ازدياد الاهتمام بالموت[٢]، " فالإنسان منذ القدم حريص على الخلود كَلِفٌ بمصارعة الزمان، يريد جهد

استطاعته أنْ يؤكّد ذاته وسط سيله القوي الجارف اللانهائي"[١]، لذا فحرص الإنسان على البقاء حيًّا جعله مهتماً بقضية الموت اهتماماً كبيراً، اذ نال ذلك الاهتمام جزءاً كبيراً من وقته وتفكيره، على الرغم من قناعته بحتمية الموت، فالإنسان بصورة أدق يتوقع الموت خاتماً للحياة، ولكنه يحرص جاهداً أن يظلّ حيًّا ومن أعزّ أمانيه بل أغلى آماله أن يطول عمره أكثر فأكثر. وكلّما تقدم به العمر ازداد المرء رغبة في الحياة.

إنّ التميمي لم يفتتح كثيراً من قصائده بمقدمة تقليدية بسبب ما يسيطر عليه من شعور بالحزن والألم، وهول الفاجعة التي ألمت به من فقد أبيه وهو طفلاً وأحبته أمثال الشهيدان المهندس وسليماني حتى يأتي بعدهم السيد نصر الله، ليطبق الحزن على قلب ذلك الشاعر التميمي الثائر[٢]، ثم إنّ المقام ليس مقام غزل ونسيب فالموقف أكثر دعوة للحزن والشكوى منه إلى الغزل والنسيب ومع ذلك لانعدم في شعره قصائد ابتداها بالرثاء النفسي أو النسيب الصوفي[٣]، حيث يتجلى فيه عنصر التوسل، والندم، ومرارة الذكرى، وهذا يدل على أن الموت لا ينفي الحياة ولا يوازيها، بل يخالفها في الدرجة وقوة الحساسية، فالذي يموت لا يلبث أن يبدأ رحلته من جديد، في سفر متواصل، مضناً، محققاً، بقوة العشق، يقظة جديدة في عالم جديد، وهذه نظرة جديدة أنتجتها قوة التأمل الهادئ بعد زوال الصدمة الأولى التي أحدثها منظر الموت، ففقدان الدهشة إزاء الموت يتيح للشاعر التميمي الفرصة للتفكير الهادئ الرصين، ومن هنا بدأ الموت الصاعق المدهش، بالنسبة للآخرين عن شيء مغاير، وأخذت صورة الشهيد والرداء القدري الجبار معاً في التمزق والسقوط ليحل محلها بناء جدلي من نوع جديد في رثاء النفس والتحضير للأخرة[٤]، وبذلك يبصر في رحم الموت بذرة الحياة التي تثمر مكان حياة جديدة، وتفرز رؤية جديدة تسقط الرؤية العدمية التي قد ينطوي عليها مفهوم الموت من حيث أنه نهاية الحياة المادية، أو فناؤها، فقد صار موت الأشياء من حوله ذا معنى، اعمق وابعد من معنى النهاية، وقدم بذلك مفهوماً فلسفياً للموت معتمداً في ذلك رؤيا إشراقية، شمولية.

فالموت ليس نقيض الحياة وحسب، بل مبدأ من مبادئها، ولازم لتجديدها وسيرورتها[١] التي تظهر في رموز جديدة، كلما افنى الزمان رموزها القديمة السابقة فإنّنا نرى أنها قد جعلت من الموت محورا، فالشاعر لا ينكر ضعفه في بعض الأحيان واستسلامه

للموت فلا مهرب من الموت فهو نهاية حتميّة، فالحياة بالنسبة له تمزقت، وتشوهت ملامحها وفقدت طعمها فاصبح الموت بديلا ومخلصا لمعاناته[٢] إلاّ أنّ صورة الموت اختلفت من موضع إلى آخر، فالموت يدلّ على القضاء والقدر.

فالإنسان مصيره الفناء شاء ام أبى، فلا فرار من الموت، فهو نهايته الحتمية، سواء أكان الموت بعلة ام بغرق ام بالقتل، لكن النهاية تبقى بما يختاره ذلك الميت، إذ يختار طريق يجعله مخلد في التاريخ على مر العصور. وبين موت الفرد وموت الجماعة تتشكّل شعريّة الخطاب لتنسج صورا إبداعيّة جديدة للموت تقترب من صورة الموت الرمزي ام الصوفي بما بهما من مفهوم الفناء وما بعده، فالشجاع والضعيف يموتان والبخيل والغني كذلك والكريم والبخيل وما بين هذا وذاك بون بعيد، فقد تختلف نتيجة الموت حسب ما كانت حياته السابقة، فثواب الأموات يختلف وفق كينونة الوجود، وهذا ما يحتمه بما كانت منزلتهم في الحياة لتتجلى منزلتهم بعد الموت. وعند التميمي، فإنّنا نرى أنه قد جعل من الموت محورا، إلاّ أنّ صورة الموت اختلفت من نظرة إلى أخرى، فالموت تارة يدلّ على القضاء والقدر.

فأسباب الموت عدّة أمّا الموت فهو واحد. أمّا صورة الموت في هذا الجانب فهي تختلف عن صورته عن المعتاد، فإذا كان الموت واحد فإنّ أسبابه متعدّدة، وأشكاله مختلفة، فالشاعر هنا يشير إلى النفس اليائسة من الحياة المسلمة بالقضاء والقدر المحتوم، حيث يصور الموت النفسي والقلبي بين الأحياء أنفسهم، إذ يقول[٣]:

أنا آخر الغافين نمتُ مجازفا

بمقصلة المعنى وعشتُ رهانها

ولم اكُ ممن يسلك الموت خائفا

لأن بقايا الروح جزت كيانها

وقد تختلف صورة الموت في شاهد لآخر، فالموت هنا قد اتّخذ شكلا آخر تمثّل في كونه نهاية كلّ كائن، وقد وردت الأبيات في شكل تذكير وفخر، إذ نعت الشّاعرُ أشجع الشجعان وأشدّ الفرسان من أهل بلده فيقول[١]:

فنحن بقايا الشهادة والنزف والموت والحزن والهم لكننا

حينما نستمر عند الخطاب الأخير

تتراءى أنّا ضحكة من حرير

يكبر فينا الحنين إلى السيد الغائب

متى سوف يأتي لأننا بقينا بلا غالب

فصورة الموت هذه، هي الصورة الغالبة عند أغلب شعراء الزهد. يقول مذكّرا الإنسان بمصيره الحتميّ وأن الشهادة هي دار الآخرة، فالخوف ممّا وراء الحياة يجعلان الإنسان في موضع تذلل قبل الموت، بل يُخيّل للمرء أنّ بداية الحياة الثانية ستكون مع الموت بحسب ما كانت الحياة الأولى فيهرع للتوبة قبل أن يطاله الموت ويفوت الأوان. ومثل هذه الصورة التي تعبر عن مدى زهد الشاعر بالحياة بعد أن اصبح النزف والحزن والهم والموت يطبقان على صدره ولا مفرّ منهما إلّا بالشهادة حتى يلتقي بالسيد الغائب، فهو يؤمن بأن هناك حياة أخرى بعد الموت تعتمد على إيمان البشر أو أفعالهم فينالون العقاب في النار أو الثواب في الجنّة، فالديانات جميعها جاءت لترسخ مبدأ الثواب والعقاب، الثواب لمن أطاع أوامر الله وانتهى عمّا نهى الله عنه، والعقاب لمن خالف ذلك وأصرّ على المعصية. ونرى ديوان الشاعر شاهداً لعرض صورة الحياة والنفس المتألمة في كلّ الأشعار تقريبا. فحياة العاشق مرتهنة بنظرة من المعشوق ورهين الهجر والقطيعة، وحياة الزّاهد مقترنة بفكرة الموت عنده، فهو يرى أنّ الحياة الدنيويّة هي مطيّة لحياة أخرى أفضل وأبقى. وموت الفارس والمحارب والمجاهد هو تمجيد لبطولاته وفروسيته في الحياة، فلا حديث عن الموت إلاّ في علاقة مباشرة مع الحياة. فالموت ما تحقق معنويا في الحياة وما هو كائن ماديا بعد الحياة، فماديا بعد الحياة، فإذا تحدث العاشق عن موته فكذلك الراثي يرثي احد المحبين له، وبين هذا وذاك تنكشف فلسفة الموت وتنبعث صورة الموت الصوفي بين طياته وما يرافقه من رمزية مفهوم الفناء وعلاقته بالوجود، فكل منا يموت سواء في طيات الحياة أو الموت الأبدي، وهذا ما يجعل من صورة الموت تتكرر في أذهان اولائك المنتفضين ضد الظلم والعبودية التي أخذت تنخر في قلوب الثائرين، فدرجة الموت مراتب مثلما هي درجات الحياة، إذ يتجلى اختلافها ومراتبها حسب كينونة ذلك الفرد ومدى تضحيته وبقدر ما كانت منزلته في الحياة كذلك هي درجته بعد الفناء.

فالشّعر تأسيس للوجود وبحث الكائن وكشف للإمكان، أسئلته هي ذاتها أسئلة الوجود، ولأنّه لا شعر دون أسئلة ولا أسئلة دون وعي فإنّ كلّ حالة شعريّة شعوريّة هي

بالضرورة حالة من حالات وعي الذات بماهيّة وجودها، فالإنسان هو الكائن الحيّ الوحيد الواعي بحتميّة الموت والفناء، وفي وعيه ذلك وجع نفسيّ وألم فكريّ يقضّيان داخل مضجعه فيؤلمانه، والشعر والأدب والفلسفة والطبّ والتاريخ والأديان... هي كلّها بحوث في ثنائيّة الحياة والموت، تبحث في مواقف الإنسان من الحياة، من الوجود، من الكون، من الإنسان ذاته، سلاحها في ذلك كلّه اللغة، لغة العلم ولغة الأدب ولغة الفلسفة... فصورة الموت في الشعر -على بشاعتها- تغدو صورة ذات أبعاد جماليّة، فلم نعد نتحدّث عن شعر الموت بقدر ما صرنا نتحدّث عن شعريّة الموت وعن جمالية الموت في الشعر. وبين الشعر والشعريّة تتشكّل الصور الذهنية لتبتعد عن الصور الحسيّة الضيّقة لتصل إلى ما هو أبعد وأعمق. حيث يظهر صور الشعر وقد اتّخذ أشكالا أخرى من قبيل موت العاشق لفقد معشوقه.

الصور التي ورد عليها ذكر الموت وعلاقته بالآخر:

أولاً: الموت والمكان

تظهر الغربة في أوقات الاضطراب والقلق وعدم الاستقرار بسبب الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية فشعور الغربة أنما هي تعبير يائس من الحياة فغربة العربي هي غربة مكان وغربة نفس عن وطن، وتذمر وعداء للعزلة حتى اصبح الإحباط مسيطر عليه فهو في عداد الموتى، فيقول الشاعر[١]:

وحيداً على سكة الشهداءَ

تمرُ السنينُ ولا من قطارُ

نجد اليأس من الحياة واضحاً، فهو ينتظر الموت لكن لا قطار يأخذه إليه سريعا حتى أصبحت فكرة الانتحار تلازمه حيث يقول[٢]:

من السيرِ في موكب الانتحارُ

ثم يندب القلب الذي اصبح وعاء يجمع فيه الأطفال بعد ما أصابهم التهجير، فهو مخيم لأيتام ومقبرة لمن أصابته رصاصة أو حرب حتى لم تبقى من بعضهم سوء أشلاء مقطعة، فيقول[٣]:

قلبيا مخيم أطفال يهجرهم
دينَ المصالح بسم اللّٰه والخلدِ
وفي حناياي أيتام ومقبرةٌ
حربٌ، رصاصٌ، وأشلاء بلا حدِ

واصفا حاله بأنه مقطع الأرجل بلا عين يشاهد ما يحدث من قتل وتهجير ولا يمكنه تغيير شيء حتى اصبح الوجه مجعد من الحزن والألم الذي يمر فيه فأصبح فقير المكان؛ كاشفاً عن عجزه فلا يمكنه حماية احد فالأحضان التي كان يجمع فيها الأطفال أصبحت معدومة بسبب تقطع أوصاله من ارجل وعيون حيث يقول(٤):

لماذا بلا رجل اسير مجرحا
أراني بلا عين أراقب ما جرى
.... تجاعيد وجنتي
فقيرا لأحضان لضمي تجنت
سأعتبرُ الأحجار أهلي لأنها
تضم دموعي كلما نحتُ انتِ
سأنسى وقوفي مكرها حاملا دمي
وارمق هذي الأرض آخر نظرةٍ

ثانياً: بدأ قوله بصيغة تعجبية اسبه ما تكون استنكارية لما هو عليه كائن، حيث يصرح بعجزه فلا مكان ولا أهل ولا قوة له سوى نظرة يائس من الحياة يرمق الأحداث للمرة الأخيرة وكأنه مسلماً بالقضاءِ والقدرِ.

ثانياً: حتمية الموت

صورة الموت هذه تبعث القلق في مواجهة مستمرة مع الأنسان ومصير المحتوم، فهذا التميمي يقول مذكّرا الإنسان بمصيره الحتميّ، الموت المقترن بصورة الحياة الفانية التي يتكالب عليها الناس وهم غافلون عن النهاية الحتميّة لكل كائن، وهذه الصورة الشعريّة عن الموت غالبا ما تراود الإنسان بعد طول شغف بالحياة وتمتع بكلّ ملذاتها إلى درجة المجون، حين يدرك الإنسان بعد أن جرّب كلّ الملذات أنّ كلّ لذّة في الحياة عمرها قصير وأنّ النهاية

الحتميّة والحقيقة الوحيدة الواضحة هي حقيقة الموت فلا أحد عمّر أو بقي دون أن تطاله يد الموت[١]، فيقول: [٢]

نمضي وحيدين للمجهول وجهتنا

كهف من اليأس يدعونا لغاربهِ

يسلم الشاعر هنا للمصير المجهول الذي لا يعرف متى يحين، واصفاً إياه بالصخرة القوية التي أصابها اليأس الذي وصل إلى نهاية لا رجعة فيه، فقد وظف الكهف لما فيه من قوة وتحمل لتلك الصخور التي تعلوه فهو ملجأ المساكين وأمان الضالين، حتى يسود ذلك الظلام واليأس العالم الجميل الذي كان سائدا آنذاك حيث الأصحاب والأهل وكل شيء جميل فقد تحول إلى عالم مخيف تدور الأمنيات فيه بلا جدوى فقد بقي الفتى يرقب المصير وهنا اختار الفتى ليدل على اليأس الذي أصاب فئة الشباب من الحياة وما فيها من هموم ومتاعب، حتى ذلك الفتى المحب للحياة فقد يئس العيش، فيقول[٥]:

أنتهى العالم الجميل بعيني

وتراخى الشعور في إجحاف

أيها العالم المخيف تمهل

لم تعد تنتمي إلى الإنصاف

قصة الأمنيات في الروح ماتت

وانتهى العمر للمصير الجزاف

وسيبقى الفتى يراقب دوماً

دربك الحق من خلال الجفافِ

فانا جالس على الدرب ادري

إن وعد الاله دون اختلاف

دلت هذه السطور على شجاعة الشاعر لمواجهة الموت وعدم الخوف منه لأنه يائس من الحياة، فترك ملذات الحياة التي رغب فيها والأمنيات التي كان يحلم في تحقيقها تلاشت حتى وصلت إلى طريق اليأس والفقدان وعدم الرغبة في العيش، إذ أنه سيلقى أجله ومصرعه إذا دنا الموعد المعلوم بالموعد المحتوم وتبرز سنان الموت له بارقة فلا يختار لنفسه ما يجلب له

العار.خاتما قوله بجلوسه على درب الختام الذي لابد منه لأنه مسلما بقضاء الله وقدره. ثم ينتهي من صبره المحتوم ليأمر بهدم داره وتمزيق ذلك العش الذي كان يأوي تحته فهو لا يعرف أين يمضي وقد أصبح الحزن رفيقه حتى وصل إلى عمق جسده البالي وقد أغرقته الدموع والعمر في تراجع من الضعف والألم، فيقول(٦):

اخبر الحزن أن يهدمَ داري

ودع الريح أن تمزق عشي

أين امضي والحزن ينخر قلبي

وجيوش الدموع بالعمر تمشي

حتى يصل إلى مرحلة التسليم وحبّ اللقاء مع الشهداء المؤمنين، داعيا إلى أن ينال نصيبه من جنان الرحمن، بعدما تلاقح هو ورصاص الغدر، فلا مكان يأويه، راغباً بالشهادة، حتى وصف ذلك الرصاص وكأنه ام تبحث عن ولدها لتضمه إلى صدرها. فيقول(٧):

احجزوا لي عند الجنان مكانا

بين شطرين لو تشح المنصة

فانا والرصاص ام وابن ولنا في مسارح الموت رقصة

فقد أراد أن تكون له مكان في الجنة حتى وكأنه يوصي من نال الشهادة قبله أن ينتظره فهو يشير إلى تزاحم الشهداء هناك حيث يصرح بأنه ماضٍ بين الرصاص حتى أصبحت علاقته مع صوت الرصاص علاقة ملازمة اسبه ما تكون بين الأم وابنها من رابطة حميمية ثم يتعدى تلك العلاقة ليكشف عن حقيقة ذلك الموت الذي يفرحون لقدومه فهو أشبه بالعرس لأنه ينتظره برقصات ودبكات وهذا ما يوضح العلاقة بيه وبين الموت لأنه مدرك لنيل الشهادة وان الجنة منزله.

ثالثاً: الشهادة وما بعد الموت

ومن حتمية الموت إلى نيل الشهادة وما بعد الموت، فقد وظف التميمي الشهادة في غرض الرثاء إذ يشكل حيّزاً طبيعياً، ليشكل مع المديح مفارقة جميلة، فما بين الحزن والبكاء والفرح والسرور تنكشف صورة الشهادة، فقد يدفع الرثاء إلى التشاؤم كونه لا يحبه

السامع. غير أن شاعرنا التميمي استطاع أن يغير من تلك النظرة التشاؤمية إلى نظرة تفاؤل، جاعلاً من السائرين على خطى الجهاد مستبشرين لسماعهم نيل الشهادة وما بعدها من نيل جنة المأوى، وهذا ما نلحظه في بعض قصائده التي يمتدح الشهيد والاستشهاد موظفاً إبداعه في عرض تشابك الألفاظ كاشفاً عن صورة المديح بأسلوب الرثاء. وهذه الموهبة نجدها لدى شاعر عاش في بيئة لم تكن بعيدة عن القتل والتهجير والشهادة من اجل المطالبة بحياة حرة وهذا ما جعل من شعر التميمي أسطورة يستمد الشهيد منها الأمل والحياة الكريمة، حتى تميز التميمي عن أقرانه في هذا الأسلوب. حيث يقول(٨):

وجثتان بلا قبر بذاكرتي

تنامت كنخيل لونه ياسَ

تظهر دلالة الشهيد بشكل رمزي عميق، حيث وصف الجثتان بأنهما بلا قبر في الذاكرة، كاشفاً إلى أن هذين الشهيدين لم يدفنا دفناً معنويا، بل ظلا حيين في الذاكرة والوجدان، اذ أشار إلى الخلود والبقاء في الذاكرة، وقد شبه الشهادة بالنخيل ذي لون اليأس دلالة على الذبول ليوحي إلى صورة الصمود والألم معاً، فالشهيد هنا لم يكن جسدا ميتا، بل رمزاً خالداً في الذاكرة، مسلطا الضوء على رمز النخيل الذي يبقى شامخا وان ذبلت أوراقه، يشير الشاعر إلى بشاعة الجريمة التي تعرض لها الشهيدان المهندس وسليماني حتى أصبحت جثث متلاشية لا قبر يأويها فأصبحت كالنخل الشامخ لونه ياس. فقد وظف الصورة الحسية لتذهب بالمتلقي إلى عالم البشاعة والإجرام الذي طال تلك الجثث الشريفة شافعا قوله بشهادة الأمام الحسين عليه السلام الذي تعرضت جثته الشريفة إلى التقطيع والرض لكنه بقي شامخا، حيث يقول(٩):

يأبن الرسول لنا في موتكم شرف

هيهات تهمل في التاريخ أغراس

فهو يؤمن بان التاريخ يبقى يذكر تلك الأجساد كما استشهد بالسبط الطاهر الذي بقي في ذاكرة الأجيال، مشبها بذلك قوله(١٠):

عمامة الطهر ذابت مثل سيدها

وخاتم الطهر القاها لغائبه

فقد يدل شعر التميمي بالإشارة إلى عمق الدلالة الرمزية للشهيد والتضحية، مع توشيح للطهارة الروحية والفداء، فعمامة الطهر، دلالة على التقوى والعلم والقداسة ممّا يضفي على الشهيد صفة النقاء الروحي، ويذهب إلى الجانب الروحي اذ يشير إلى الخاتم رمز العهد والزهد، حتى يصل إلى تقديم الشهيد التضحية الرمزية مستعينا باللفظ (القاها لغائبه) وهي دلالة أشبه ما تكون إلى تقديم الشهيد رمز هويته في سبيل الغائب لله أو الوطن، وهنا تظهر دلالة ذلك الجسد الذي ضحى بنفسه لإصلاح أمة كما فعل سيد الشهداء عليه السلام ليبقى رسالة خالدة عبر العصور، فقد تطرق إلى استثمار ألفاظ الموت في غرض الرثاء، ولا شكَّ في أنّ ذكر الموت في غرض الرثاء يشكّل حيّزاً طبيعيًّا، وليس كما في غرض المديح، الذي جاء فيه ذكر الموت كما أفاد الشاعر من ألفاظ الموت في صياغة حكم مفيدة اذ يصور تلك العمامة التي لم تفارق صاحبها حتى ذابت من حزنها عليه هي وذلك الخاتم، حتى تقطعت تلك الأصابع فأصبح عاجزاً في مكانه، فقد أشار لبشاعة القتلة مصوراً حالة الشهيد فهو بلا كف ولا خاتم وقد تقطعت الأيدي فلم تبقى لذلك الكتاب والدعاء شيء يضمهما، معبّراً من خلالها عن حتمية الموت، فيقول[١١]:

وكف تدل...كتاب صغير...دعاء عتيق...وخاتم كهل

فقد أودعها إلى القضاء والقدر، اذ يصور الضياع الروحي فالكف، إنما يرمز بها إلى مدى القدرة على التحكم بالأشياء والسيطرة عليها فدلالة اليد أنما ترمز إلى التعلق بالدنيا، والوداع بلا كف أشبه ما يكون دلالة التخلي عن الماديات مشيرا إلى أن تلك الرحلة التي يمضي عليها، إنما هي رحلة وداع وضياع هوية بعد أن فقد التلاويح - البوصلة - التي يهتدي بها إلى مبتغاه - فيقول[١٢]:

وأودعتها من دون كف لأنني

فقدتُ تلاويحي بإثناء رحلتي

فتلك الأكف التي قطّعت ولم يتمكن من أن يحمل ما يحتاجه فلا سراج ولا بوصلة

يهتدي بها إلى مبتغاه.

رابعاً: الموت وقصص الأنبياء

لم تكن قصص الأنبياء خافية عن كتابات الشاعر في ربط الصورة الشعرية بما يتلاءم مع سبب نزول الآية، مشيرا إلى قصة نبي الله يوسف ﷺ وكيف نبأ من كان معه السجن بما قد يحل بهم والتفريق بين من ينال القتل ومن ينجو منه، وهذا أسلوب قل نظيره في الكشف عن نتيجة الموت الحتمية شافعا ذلك بصورة ذهنية واضحة من تلك القصة، ومن ذلك قوله[١٣]:

أرى طير الغياب يشق رأسي

ويأكل ما تيسر من ذكائي

ويعصر خادم الكهان وجهي

ليسكر ربه من كبريائي

وفي رؤياي كانت سنبلاتي

بلا لون ونهري دون ماء

ضمّن الشاعر سورة يوسف ﷺ في تحقق الرؤيا، فقد أشار إلى طير الغياب دلالة على رمزية النسيان والضياع معبرا عن شق الراس ليضيف صورة اختراق الألم للرأس دلالة على التفكير الطويل شافعا ذلك بعبارة - خادم الكهان - دلالة على رمزية القدرة أو الآلهة التي تسحق الكرامة مثل عصر العنب إشارة منه على التذلل الذي يوضح صراعاً داخلياً مريراً بين العقل والضياع، وبين الكبرياء والذل، يقول[١]:

بدايتهُ عناء في عناء

نهايتهُ شقاء في شقاء

وأخر صفحة بيضاء تبكي

على عمري وتلهج بالكساء

هنا يعبر الشاعر عن حتمية المعاناة في رحلة الحياة من بداية العمر إلى نهايته، فقد وظف مرارة الحياة فهي تعب في تعب، فالشاعر إنما أراد عرض صورة واضحة للمصير المحتوم فلا

فرح ولا راحة فيه فهي - الحياة - أشبه ما تكون صرحة يأس من عدالة الوجود، مقتبسا من قصة مريم ويوسف عليهما السلام، مشيرا إلى الضعف الذي وصلا اليه حيث يوضح المعاناة التي لاقت الأنبياء والصالحين منهم. فيقول[٢]:

ونجلس فيها وتهوي علينا التمور

بعد أن قزمتنا السنين العجاف

كما أفاد الشاعر من ألفاظ الموت في صياغة حكم مفيدة، عبَّر من خلالها عن حتمية الموت، وأنّه أمر لا مفرّ منه، فلا بدَّ أن يتجرّعه الجميع، سواء أكان برضاهم أم على الرغم منهم، فهو يرى أنّ البشر نازلون في منازل لايزال غراب البين ينعق فيها، ناذراً بحتمية الموت، فالأطفال والشيوخ والأمهات الشهداء دون تمييز أصبح مصيرهم النوم في القبور الضّيقة، حتّى نالوا الثواب في جنان الخلد، لذا فانّ الموت آتٍ للجميع، يقول: [١]

لمست المكان

تنفست ملء احتراقي الدخان

وأيقنت أن الحجارة والدم والدمع

والطفل والشيخ والأم عند الصعود إلى الله

في موكب ابيض يأخذون الأمان

فالشاعر يردّد معنى نيل الشهادة في شعره مع تطور الدلالة، فالموت أتعب الأطباء وأعياهم، إذ لم يجدوا دواءً يمنعه من القدوم اليهم والى سواهم، وفي ذلك إرادة إلهية، فالجمال الأدبي في الشعر، وتوظيف العبارات الدينية، وكسب اعلى درجات الرضا الإلهي، إنّما يتوقف على شيء واحد فقط في موضوع الأدب، هو أنْ يكون ممتزجاً بالمشاعر، مختلطاً بالأحاسيس، وأنْ يكون الأثر الأدبي ممثّلاً للانفعال النفسي، مع وقائع الحياة أو خيالاتها فيخاطبهم بصراحة عالية، لزرع روح الشجاعة فيهم، وبثّ الحماسة في قلوبهم المرتعبة، بمعنى أنّه هنا لا يتحدث عن بطولاته هو بقدر حديثه الموجّه إلى الآخرين، محاولاً استنهاض همم أولئك الشجعان، والتميمي لم يقدم على فعله هذا لو أنّه لم يرَ ذلك واقعاً ملموساً فيقول في تلك الأرواح البريئة التي غادرت ملكوت الدنيا إلى الأخرة[٢]:

هنيئا لكم يا صغاري الذين رحلتم إلى الله مثل لطيور

رحلتم ولم يبقَ في الكون نور

رحلتم وثم اختفت من رؤانا جميع العطور

جلسنا وراء الرحيل نراقب انفسنا

لقد وظف الشاعر صورة الإرهاب، حين رأى الأطفال فريسة سهلة من فرائس الموت حتى صار يعيش حزنه قلقا وجوديا فاصبح موت الأطفال يرهق ذاكرته، لقد اصبح هذا العالم متهما، لتجرده من الإنسانية حتى اصبح كل شيء مقزز وهو يرى مقابر أولئك الأطفال منثورة في كل بقعة من بقاع الأرض، فهو يصور الموت وكانه نزهة إلى المنال مستخدما التهنئة مشبها ذلك بالنور الساطع وما أن رحلت تلك الطيور - الأطفال - حتى تلاشت عطورهم الزاكية عن الوجود وقد استسلم ذلك الشاعر إلى اليأس وهو ينتظر الرحيل جالساً في طريق المنايا، ثم ينتقل إلى إيضاح ذلك، بالكشف عن سبب الانتظار فهو قناعة باستحصال الثواب والجزاء فما أن طافت تلك الجثث بآل البيت حتى توافد عطر الشهادة من جديد بعد ان ضمته ادعيه وتسابيح المحبين، فيقول[١]:

ولم يزل واقفا في الباب منتظرا

إيماءه ودم الإنهاك مسفوح

وحين لاحت قباب النور وانبثقت

نوافذ العطر ضمته التسابيح

ولم يكن المكان بعيدا عن الشاعر في مناقب الشهيد حيث يشير إلى أماكن الشهادة ومعارك الانتصار حيث يقول[١٤]:

والشام التي تفيض انكسارا

.....

والعراق الذي تحوب قبرا

.....

جئته حاملا رسالة نور

والمطارات....

قبلت كفك....

قاسميا به الكرامة فضلى

.....

يا جمال العراق أي جمال

.....

كيف يا قاسم الدموع علينا

.....

نم قريرا مولاي فالله اهدى

للدنا قبرك العظيم مصلى

مخاطبا الشاعر ذلك الشهيد الذي ينعم في نومة هادئة، فقد أضاف لمسة واضحة اذ وصف نهاية تلك الجثة إلى الهدوء والاستقرار لما بذلته في سبيل الله والوطن مضحية بأغلى ما تملك وهو النفس، واصفا ذلك القبر الذي اتخذه الناس قبرا لأجل التبرك والدعاء، وبهذا فقد وظف الشاعر أسلوب الفخر والمدح والتعظيم لتلك الشخصية العظيمة. وينتقل الشاعر إلى صورة عبقرية واصفا تلك الجثث وكأنها كواكب تسير إلى الباري حاملة أهات الأطفال والثواكل لما يمر بهم من قتل وتهجير وسبي. فيقول[١٥]:

كواكبنا إلى الملكوت تمضي

وتحملها اليتامى والثواكل

فيا ساعي بريد الدمع مهلا

لنجمع ما يضيع من الفواصل

نلملم هذه الأشلاء حتى

تجيء إليك أجسادا كوامل

.....

وفي يوم نصر الله قد مت واقفا

فذبت على ذكرى أعادت دخانها

على قلق الأجواء ابكي عواصفا
فطائرةُ الأحزان أبدت سنائها
وجهزت النعش الذي ظل نازفا
واغرق أرضا لم تصن إرجوائها

فقد صور الشاعر الموت إذ يربطه بالشجاعة والإقدام ويدفع إلى تخليد النفس بالذكر الجميل الحسن. فالإنسان عند مماته لا يترك سوى الذكر الصالح فقد صرف الشاعر شكواه إلى الله سبحانه وتعالى، لأن الله هو الذي أجرى المقادير من فناء الأصدقاء وبقاء الأرض، والموت ليس له طريق للعتب فإنه قدر محتوم ونهاية ومقدرة، وليس للإنسان أن يفر منه مهما طال بقاؤه في الدنيا.

خامساً: الموت واغتراب النفس

ولم تكن صورة التشبه بالشهيد غائبة عن عين الشاعر فقد عبر عن إحساس عميق بالحزن واليأس العميقين معبرا عن حالته النفسية لما يمر به بعد فقد الصديق حتى اصبح قلبه كالبركان المدمر اليائس العاجز، اذ لم يكن ذلك الفقيد شخصا اعتيادياً، بل رفيق درب يبعث الدفيء والطمأنينة في نفس صاحبه، واصفا تلك الخسارة المأساوية التي جعلته يشعر بان ما حوله إنما هو زائل وأن الموت القريب هو المنال، فيقول[١٦]:

أنا جالس فوق البراكين لا أرى
سوى جسد ملقى على باب مجلسي
وليس لدي الصوت كي استحثه
لينهض من موت صديق ومؤنس
.....
يضيفون فوق الموت لون بياضهم
لتنسى جروف القتل وجه التغطرس
سلاما على الأحزان حين تجمهرت
تؤم صلاةُ الفقد في قبر نرجسي
كواكبنا إلى الملكوت تمضي

وتحملها اليتامى والثواكل

فقد أشار إلى محاولة منه لتزين صورة الموت طامساً فظاعة، بمظاهر الكفن الأبيض والخطاب المنمق بين الجماهير، خافياً بشاعة الموت بصيغة السخرية للألم حتى اصبح طقساً جماعياً والأحزان حوله تتجمع، وبذلك رسم صورة لتحويل الحزن إلى مشهد جماعي دالاً على الاغتراب النفسي الذي يعانيه الشاعر نفسه.

أهم النتائج التي توصل إليها الباحث:

ديوان "ثمانون طنًا من الغياب" للشاعر العراقي مرتضى التميمي، يُعدُّ من الأعمال الشعرية العميقة التي تجمع بين الوجع الشخصي والجرح الجماعي، حيث يتميز أسلوب التميمي فيه بمزجٍ بين اللغة الصادمة والصور الشعرية المكثفة، مع تركيز كبير على فقدان الوطن، الغياب، والذاكرة الجمعية للألم العراقي. إنّ الشاعر التميمي يريد الحياة في موطنه شرط عدم وجود المحتل فيه والابتعاد عنه، طالما أنّ وجوده يمثّل له شيئاً من العدم والموت فلذلك ظل يثبت هذا المعنى في أشعاره ويحفّز أبناء شعبه علي المقاومة والشهادة لأنّ الحياة مع المحتل موت تتسم بالهوان، لكن الشهادة في سبيل تحرير الوطن، هي بمثابة الحياة والخلود. فنجد اللغة القاسية والصادمة إذ يستخدم التميمي لغةً فخمة، بعيدة عن التزيين، تعكس قسوة الواقع العراقي. من ذلك توظيف كلمات مثل "الغياب، الموت، الدم، الأنقاض" تتكرر لتخلق جواً من الاحتضار والضياع، إضافة إلى عبارة اللفظ التي تعطي المعنى الواسع باقل العبارات، مثال ذلك: "ثمانون طنًا من الغياب تكفي لدفن وطن..". كما أن الصور الشعرية المُرعبة والاستعارات الجريئة، تبدو واضحة ومنكشفة في الديوان، فالشاعر يوظف التشبيهات والاستعارات المفزعة أحيانًا ليعكس حجم المأساة. ومن ذلك: "أحملُ جثة الكلماتِ.. وأدفنها في قصيدتي" استعارة مرعبة للشعر كمدفن للضحايا. كما لم يكن خافياً عن الشاعر المزج بين الذاتي والوطني إذ جعل رمز الغياب في الديوان ليس غياب شخصٍ واحد، بل غياب وطن، ذاكرة، وحتى إنسانية، هذا ما جعل من قصائده أن تتحول من حديث الفقد العائلي إلى رثاء العراق، مما يجعل الألم شخصيًا وجماعيًا. أما الإيقاع الحزين واللغة النثرية فلها حصة الأسد من ذلك، ففي بعض القصائد تكتب بنمط شعر التفعيلة مع إيقاع بطيء يشبه النواح، في حين في أجزاء أخرى، يتحول إلى لغة نثرية

شعرية (قصيدة النثر) لتعزيز الشعور بالانكسار. أما الصورة الرمزية السوداء فقد كانت طاغية على الديوان، من ذلك: "الطن" كوحدة قياس للغياب يُضخم حجم الكارثة (كأن الغياب كله يُوزن كشحنة ميتة)، اضف إلى ذلك: "الأنقاض" ترمز لانهيار البيت والوطن معًا. وهذا الأسلوب جعل منه أن يتميز هنا عن أسلوب سيركون بولص و عبد الوهاب البياتي، في المزج بين الوجودية والوطنية.

هوامش البحث

(١) أدور الخراط، شعر الحداثة في مصر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، كتابات نقدية، ١٩٩٧-١٩٩٩ م، ص ٤٥١

(٢) ينظر: أفكار حول الموت الأزلية، لودفيغ فوسيرباخ، ترجمة /د نبيل فياض، دار الرافدين، ط ١، بيروت، لبنان

(٣) ينظر: السياب والموت، سامي مهدي / الآداب، ع٤، س١٣، نيسان، ١٩٦٥، ص ٤٥

(٤) نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، بيروت، ١٩٧٤، ص ٣٠٥

(١) ينظر: على سبيل المثال: البقرة/ ١٩، ٩٤، ١٣٣، ١٨٠، ٢٤٣، آل عمران/ ١٤٣، ١٦٨، ١٨٥، النساء/ ١٥، ١٨، ٧٨، ١٠٠، المائدة/ ١٠٦، الأنعام/ ٦١، ٩٣، الأنفال/ ٦، هود/ ٧، إبراهيم/ ١٧، الأنبياء/ ٣٥، المؤمنون/ ٩٩، العنكبوت/ ٥٧، السجدة / ١١، الأحزاب / ١٦، ١٩، سبإ / ١٤، الزمر/ ٤٢، الدخان / ٥٦، محمد / ٢٠، ق/ ١٩، الواقعة/ ٦٠، الجمعة/ ٦، ٨، المنافقون / ١٠، الملك / ٢.

(٢) ينظر: د. زكريا إبراهيم، مشكلة الإنسان، القاهرة، مكتبة مصر (د ت) ص ١٦٠

(١) الموت والعبقرية، عبدالرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٢، ص ١٠٩.

(٢) ينظر: ثمانون طنا من الغياب، ص ٢٥ -٥٧ -١٠٣ -١٠٤

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص ٩ -١٠

(٤) ينظر: الشخصية بين الحرية والعبودية، فؤاد كامل، دار المعارف، مصر، ١٩٨١، ص٤٧-٤٨.

(١) ينظر: قراءة جديدة لشعرنا القديم، صلاح عبد الصبور، عرض محمد محمود قرآنيا الفيصل، الكويت، دار الفيصل الثقافية، ١٩٨٨، ص ٦٥.

(٢) ينظر: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الأخرة، القرطبي، المكتبة التوفيقية (د. ت) ص ١٥.

(٣) ثمانون طنا من الغياب، ص ٥٦.

(١) ثمانون طناً من الغياب: ص ٨٠.

(١) انمانون طنا من الغياب، ص ٦٩

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٩

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٢، ٤٣
(٤) ثمانون طنا من الغياب، ص ٤٥، ٤٦
(١) ينظر: الشخصية بين الحرية والعبودية، فؤاد كامل، دار المعارف، مصر، ١٩٨١ (سلسلة كتابك)، ص ٤٧
(٢) ثمانون طنا من الغياب. (٢٠)
(١) المصدر نفسه، ص ٥٩، ٦٠
(٦) ثمانون طنا من الغياب، ص ١٣-١٤
(٣) المصدر نفسه، ص ٣٣
(١) ثمانون طنا من الغياب، ص ٢٥
(٩) ثمانون طنا من الغياب،ص ٢٦
(١٠) المصدر نفسه،ص ٢٢
(١١) ثمانون طنا من الغياب ،ص ٧٨
(١٢) المصدر نفسه،ص ٦٣
(١٣) المصدر نفسه،ص ٦٤
(١) ا ثمانون طناً من الغياب ص ٦٤
(٢) ا لمصدر نفسه ص ٩٧
(١) ثمانون طنا من الغياب ص ٦٧
(٢) المصدر نفسه ص ٦٨
(١) ثمانون طنا من الغياب ص ١٠
(١) ثمانون طناً من الغياب: ص ١٠٣-١٠٤
(١) ثمانون طنا من الغياب: ص ٥ - ٦ - ٧ - ٥٧
(١) ثمانون طنا من الغياب ص٥ - ٦

قائمة المصادر والمراجع

- إن خير مانبتدأ به القرآن الكريم

١. أفكار حول الموت الأزلية، لودفيغ فوسيرباخ، ترجمة: نبيل فياض، دار الرافدين، ط ١، بيروت، لبنان
٢. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الأخرة، القرطبي، الكتبة التوفيقية (د. ت) ص ١٥.
٣. ثمانون طناً من الغياب، مرتضى التميمي، دار الكتب والوثائق،ط١، بغداد، ٢٠٢٥.

٤. دراسات في الأدب العباسي أو رشفات من رحيق الأدب، تأليف: الدكتور عبد السلام سرحان، الناشر: مكتبة القاهرة، مطبعة الفجالة الجديدة- القاهرة، ط٢، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م
٥. أدور الخراط، شعر الحداثة في مصر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، كتابات نقدية، ١٩٩٧-١٩٩٩ م، ص ٤٥١
٦. السياب والموت، سامي مهدي / الآداب، ع٤، س١٣، نيسان، ١٩٦٥
٧. الشخصية بين الحرية والعبودية، فؤاد كامل، دار المعارف، مصر، ١٩٨١ (سلسلة كتابك)
٨. شعر الحداثة في مصر، أدور الخراط، الهيئة العامة لقصور الثقافة، كتابات نقدية، ١٩٩٧-١٩٩٩.
٩. الفرار إلى الموت - قراءة في الشعر الوسائطي(قصيدة كوشنير تو الحرب) أنموذجاً، د. وصفي ياسين عباس، بحث منشور، الممارسات اللغوية، مجلد١٢، العدد٠٤، ٢٠٢١، ص ٢٧٥-٣٠٥
١٠. قراءة جديدة لشعرنا القديم، صلاح عبد الصبور، عرض محمد محمود قرآنيا الفيصل، الكويت، دار الفيصل الثقافية، ١٩٨٨.
١١. قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، بيروت، ١٩٧٤،
١٢. ملحمة كلكامش، طه باقر، دار الحرية، بغداد، ط٤، ١٩٨٠.
١٣. الموت الدلالي في الواقعية الكتب،، نصر محمد عباس، رواية (رجال في الشمس) الغسان كنفاني نموذجا، مجلة فكر وأبداع، رابطة الأدب الحديث، القاهرة، (د ت)
١٤. الموت في الشعر الحديث، د. حسين احمد عبد الحميد، دار الكتب، (د.ت) ١٩٩٦م
١٥. الموت في الشعر العربي من الأصول إلى نهاية القرن الإسلامي، محمد عبد السلام، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، لبنان، ط١، ٢٠١٧
١٦. الموت في شعر السياب ونازك الملائكة، دراسة مقارنة، عيسى سلمان درويش، جامعة بابل، ٢٠٠٣.
١٧. الموت والعبقرية، عبدالرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية.
١٨. سيركون بولص، الأعمال الشعرية ج١-ج٢، من منشورات المديرية العامة للثقافة والفنون السريانية، عنكاوا، ٢٠١١.
١٩. عبد الوهاب البياتي، الأعمال الشعرية ج١- ج٢،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،.١٩٩٥.